﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾ [ص: 55 - 58]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

بَعْدَ ذِكْرِ نَعيمِ أهلِ الجَنّاتِ ناسَبَ ذِكْرُ وعيدِ أهلِ الوَيْلاتِ

بَعْدَ أن بَيَّنَ النَّظْمُ الحكيمُ ثَوابَ المُتَّقينَ على نَحْوٍ مُفَصَّلٍ، أتى بَعْدَهُ بِوَصْفِ عِقابِ الطّاغينَ، ليَكونَ الوَعيدُ مَذْكورًا عَقيبَ الوَعْدِ، والتَّرْهيبُ عَقيبَ التَّرْغيبِ[1]، وذَلِكَ لأنَّ النُّفوسَ نَزّاعَةٌ لِلْهَوى؛ مَيّالَةٌ إلى الرَّدى؛ فَكانَتْ مُحْتاجَةً إلى مَزيدِ تَخْويفٍ؛ وشَديدِ تَهْويلٍ؛ فأتى البيانُ القُرْآنيُّ بِوَصْفِ عذابِ الطّاغينَ مُتَوَعِّدًا لِمَن تَرَكَ التَّأسّيَ بِهَؤُلاءِ السّادَةِ في أحْوالِ العِبادَةِ؛ مُؤَكِّدًا لِما مَضى مِن إيعادِ العُصاةِ؛ وتَخْويفِ العُتاةِ[2]، ليُقابِلَ بَيْنَ الفَريقَيْنِ، ويَقْتَرِنَ الوَعْدُ بِالوَعيدِ، فَيُقْبِلُ المُسْلِمُ على الطّاعَةِ، ويَجْتَنِبُ المَعْصيةَ، ويَتَحَقَّقُ الهَدَفُ المَنْشودُ وهُوَ الإصْلاحُ والتَّهْذيبُ[3]، وناسبَ ذكرُ المُقابلِ لِقَوْلِ اللّهِ في شأنِ المُؤْمِنينَ: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾، فَأهْلُ الجَنَّةِ يَطْلُبونَ ما يَشْتَهونَ، وأمّا أهْلُ النّارِ، فَإنَّهُم يجدونَ الحميمَ والغَسّاقَ، فهي مقابَلَةٌ لمطاعمِ أهل الجنَّةِ ومشاربهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِلطَّٰغِينَ﴾ (طغى): أصْلٌ صَحيحٌ مُنْقاسٌ، وهوَ مُجاوَزَةُ الحَدِّ في العِصْيانِ. يُقالُ: هوَ طاغٍ. وطَغَى السَّيْلُ، إذا جاءَ بِماءٍ كَثيرٍ. قالَ اللّهُ تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: 11]، يُريدُ خُروجَهُ عَنِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 403.
(2) البِقاعِيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 16/ 405.
(3) الزُّحَيْلي، التّفسير المنير: 23/ 220.

المِقْدارِ. وطَغَى البَحْرُ: هاجَتْ أمْواجُهُ. وطَغَى الدَّمُ: تَبَيَّغَ، والاسمُ: الطُّغْيانُ، والفِعْلُ مِنْهُ طَغَيْتُ وطَغَوْتُ[1]. والمُرادُ بالطّاغينَ: الَّذينَ لَمْ يَصْبِروا عَلى تَنْزيلِهِمْ أنْفُسَهم في مَنازِلِها؛ بِالصَّبْرِ عَلى ما أُمِروا بِهِ؛ فَرَفَعوا أنْفُسَهم فَوْقَ قَدْرِها؛ وتَجاوَزوا الحَدَّ؛ وعَلَوْا في الكُفْرِ بِهِ؛ وأسْرَفوا في المَعاصي والظُّلْمِ؛ وتَجَبَّروا؛ وتَكَبَّروا؛ فَكانوا أحْمَقَ النّاسِ[2].

2) ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ (صلي) أصْلانِ: أحَدُهُما النّارُ، وما أشْبَهَها مِنَ الحُمَّى، والآخَرُ جِنْسٌ مِنَ العِبادَةِ. فَأمّا الأوَّلُ فَقَوْلُهُمْ: صَلَيْتُ العودَ بِالنّارِ. والصَّلَى صَلَى النّارِ. واصْطَلَيْتُ بِالنّارِ. والصِّلاءُ: ما يُصْطَلَى بِهِ وما يُذْكَى بِهِ النّارُ ويوقَدُ[3]. وأصْلُ الصَّلْيِ الإيقادُ بِالنّارِ، ويُقالُ: صَلِيَ بِالنّارِ، أيْ: بُلِيَ بِها، واصْطَلَى بها، وصَلَيْتُ الشاةَ: شَوَيْتُها، وهيَ مَصْلِيَّةٌ. قال تعالى: ﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ﴾ [يس: 64]، وقال: ﴿يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [الأعلى: 12]، و﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ [الغاشية: 4]، وقوله: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ [الليل: 15 - 16]، وقيل: صَلَى النارَ: دخل فيها، وأصْلاها غيرَهُ[4]. والمُرادُ بـ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ أيْ يَدْخُلونَها، ويُقاسونَ حَرَّها[5].

3) ﴿ٱلْمِهَادُ﴾: (مهد) أصلٌ يدُلُّ على تَوْطِئَةٍ وتَسْهيلٍ لِلشَّيْءِ. ومِنْهُ: المَهْدُ. ومَهَّدْتُ الأمْرَ: وطَّأْتُهُ. وتَمَهَّدَ: تَوَطَّأ والمِهادُ: الوِطاءُ مِنْ كُلِ شَيْءٍ. وامْتَهَدَ سَنامُ البَعيرِ: ارْتَفَعَ[6]، ومَهَدَ لِنَفْسِهِ يَمْهَدُ مَهْدًا: كسَبَ وعَمِلَ. والمِهادُ: الفِراش. وقَدْ مَهَدْتُ الفِراشَ مَهْدًا: بَسَطْتُه ووَطَّأْتُه. يُقالُ للفِراشِ: مِهادٌ لِوِثارَتِه. والمِهادُ أجمعُ مِنَ المَهْدِ، كالأرض جَعَلَها اللّهُ مِهادًا لِلْعِبادِ، وأصل المَهْد التَّوْثيرُ؛ يُقالُ: مَهَدْتُ لِنَفْسي ومَهَّدت، أي: جَعَلْتُ لَها مَكانًا وطيئًا سَهْلًا. ومَهَدَ لِنَفْسِهِ خَيْرًا وامْتَهَدَه: هَيّأه وتَوَطَّأه[7]؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الروم: 44]؛ وقَوْلُه: ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ أيْ: الفِراشُ. وذَكَرَهُ بِلَفْظِ المِهادِ تَهَكُّمًا بِهِم أوْ على العَكْسِ مِنَ الكَلامِ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طغي).
(2) البِقاعِيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 16/ 404.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صلى).
(4) الرّاغب، المفردات: (صلا).
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 205.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مهد).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (مهد).

4) ﴿حَمِيمٌ﴾: (حمم) أصلٌ مُتَشَعِّبُ الأبْوابِ جِدًّا. فَأحَدُ أُصولِهِ: اسْوِدادٌ، والآخَرُ: الحَرارَةُ، والثّالِثُ: الدُّنوُّ والحُضورُ، والرّابِعُ: جِنْسٌ مِنَ الصَّوْتِ، والخامِسُ: القَصْدُ[1]، وهذه الأصولُ في مجملِها متقاربةُ الدّلالةِ. والحَميمُ: الماءُ الشَّديدُ الحَرارَةِ، قال تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا﴾ [محمد: 15]، و﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥﴾ [النبأ: 25]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [يونس: 4][2].

5) ﴿وَغَسَّاقٌ﴾: (غسق) أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلَى ظُلْمَةٍ. فالغَسَقُ: الظُّلْمَةُ. والغاسِقُ: اللَّيْلُ. ويُقالُ: غَسَقَتْ عَيْنُهُ: أظْلَمَتْ. وأغْسَقَ المُؤَذِّنُ، إذا أخَّرَ صَلاةَ المَغْرِبِ إلَى غَسَقِ اللَّيْلِ. وأمّا الغَسّاقُ فَهوَ: ما تَقَطَّرَ مِنْ جُلودِ أهْلِ النّارِ[3]. وغَسَقَتْ عَيْنُهُ تَغْسِقُ غَسْقًا وغَسَقانًا: دَمَعَتْ، وقيلَ: انصبَّت، وقيلَ: أظلمت. والغَسَقان: الانْصِبابُ[4]. وقالَ أهلُ العَرَبيَّةِ، في تفسيرِ: الغَسّاق: هوَ الشَّديد البَرْدِ يُحْرِقُ مِنْ بَرْدِهِ[5]، وفي الحديثِ: أن النَّبي ﷺ قالَ: «لَو أنَّ دَلْوًا من غَسّاقٍ يُهْراقُ في الدُّنْيا، لأنْتَنَ أهْلَها»[6]. وقَوْلُهُ: ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ ما يَسيلُ مِنْ صَديدِ أهْلِ النّارِ وما يُصْهَرُ مِنْ جُلودِهِم، مِنْ قَوْلِه: غَسَقَتْ عَيْنُه: إذا سالَتْ بالدَّمْعِ، وقيلَ: هوَ دُموعُهُمُ الَّتي تَخْرُجُ مِنْ عُيونِهِم لِكَثْرَةِ بُكائِها يُسْقونَها مِنَ الحَميمِ. وقيلَ: المُجَفَّفُ البارِدُ الَّذي يُمَزِّقُ بَرْدُهُ[7].

6) ﴿شَكْلِهِۦٓ﴾: (شكل) مُعْظَمُ بابِهِ المُماثَلَةُ. تَقولُ: هَذا شَكْلُ هَذا (بِفَتْحِ الشّينِ وكَسْرِها)، أيْ مِثْلُهُ. ومِنْ ذَلِكَ يُقالُ أمْرٌ مُشْكِلٌ، كَما يُقالُ أمْرٌ مُشْتَبِهٌ، أيْ هَذا شابَهَ هَذا، وهَذا دَخَلَ في شِكْلِ هَذا، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَى ذَلِكَ، فَيُقالُ: شَكَلْتُ الدّابَّةَ بِشِكالِه، وذَلِكَ أنَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَ إحْدَى قَوائِمِهِ وشِكْلٍ لَها[8]. والشَّكْلُ، بالفَتْحِ: الشِّبْه والمِثْل، والجَمْعُ أشْكالٌ وشُكول؛ وقَدْ تَشاكَلَ الشَّيْئانِ وشاكَلَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما صاحِبَه. وفي فُلانٍ شَبَهٌ مِنْ أبيه

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حمم).
(2) الرّاغب، المفردات: (حمم).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غسق).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (غسق).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (غسق).
(6) الحديث رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة جهنم، حديث رقم: (2787).
(7) السّمين الحلبيّ، عُمْدَةُ الحُفّاظ: (غسق).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شكل).

وشَكْلٌ وأشْكَلَةٌ وشُكْلَةٌ وشاكِلٌ ومُشاكَلَةٌ[1]. وقالَ الرّاغِبُ: الشَّكْلُ: المُشاكَلَةُ في الهَيْئَةِ والصّورَةِ، والنِّدِّ في الجِنْسيَّةِ. والشَّبَهُ في الكَيْفيَّةِ[2]. والمَعْنَى في قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَاجٌ﴾؛ أيْ: وعَذابٌ آخَرُ مِنْ شَكْلِه، أي: مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ الأوَّل، أيْ: مِثْلُه في الهَيْئَةِ وتَعاطي الفِعْلِ[3].

7) ﴿أَزْوَاجٌ﴾: (زوج) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مُقارَنَةِ شَيْءٍ لِشَيْءٍ. مِنْ ذَلِكَ الزَّوْجُ: زَوْجُ المَرْأةِ. والمَرْأةُ زَوْجُ بَعْلِها، وهوَ الفَصيحُ[4]. والزَّوْجُ: خِلافُ الفَرْدِ. يُقالُ: زَوْجٌ أو فَرْدٌ، ويُجْمَعُ الزَّوْجُ أزْواجًا وأزاويجَ؛ والأصل في الزَّوْجِ: الصِّنْفُ والنَّوْعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وكُلُّ شَيْئَيْنِ مُقْتَرِنَيْنِ، شَكْلَيْنِ كانا أو نَقيضَيْنِ، فَهُما زَوْجانِ؛ وكلُّ واحِدٍ مِنْهُما زَوْجٌ، والمُزاوَجَةُ والازْدِواجُ، بِمَعْنًى[5]. ويُقالُ لِكُلِّ واحدٍ منَ القَرينَيْنِ مِنَ الذَّكَرِ والأُنْثَى في الحَيَواناتِ المُتَزاوِجَةِ زَوْجٌ[6]. وقَوْلُهُ تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَاجٌ﴾: مَعْناهُ ألوانٌ وأنْواعٌ مِنَ العَذابِ، ووَصَفَهُ بالأزواجِ؛ لأنَّه عَنَى بِهِ الأنواعَ مِنَ العَذابِ والأصنافَ مِنْهُ[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

شِـدَّةُ عـذابِ أهْـلِ الطُّغيانِ وهـوانُـهُـم وبؤسُهم

بَيَّنَتِ الآياتُ الكريماتُ مصيرَ أهلِ الطُّغْيانِ، الَّذينَ تَجاوَزوا الحُدودَ في الكُفْرِ والجُحودِ والإعْراضِ عنِ الحَقِّ، فَإنَّ مَرْجِعَهُم إلى اللّهِ تعالى سَيَكونُ شَرَّ مَرْجِعٍ، بِسَبَبِ إصْرارِهِم علَى كُفْرِهِم. فَإذا كانَ المُتَّقونَ يَدْخُلونَ الجَنّاتِ الَّتي فَتَحَتْ لَهُمْ أبْوابَها، فَإنَّ الطّاغينَ تَسْتَقْبِلُهُم جَهَنَّمُ بِسَعيرِها ولَهيبِها، فَيُلْقَونَ فيها، ويَفْتَرِشونَ نارَها،

(1) ابن منظور، لسان العرب: (شكل).
(2) الرّاغب، المفردات: (شكل).
(3) الرّاغب، المفردات: (شكل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (زوج).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (زوج).
(6) الرّاغب، المفردات: (زوج).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (زوج).

وبِئْسَتْ هيَ فِراشًا ومِهادًا. ثُمَّ بيَّنَتِ الآياتُ بَعْضًا منْ أَلْوانِ هذا العَذابِ الأليمِ الَّذي يَنْتَظِرُهُم، ومِنْهُ هَذا الماءُ الَّذي بَلَغَتْ حرارَتُه الغايَةَ القُصْوَى في الغَلَيانِ وشِدَّةِ الحَرارَةِ، ومِنْهُ هذا الصَّديدُ الَّذي يَسيلُ مِنْ عَصارَةِ أَهْلِ النّارِ وما يُصْهَرُ مِنْ جُلودِهِم[1]، وعذابٌ آخرُ من شكلِ العذابِ المتقدِّم ذكرُه، وسيكون كلُّ صنفٍ أزواجًا.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بَلاغَةُ الاسْتِئْنافِ في الآيةِ:

الجُمْلةُ من عطفِ القِصَّةِ على القِصَّةِ أو استئنافٌ ابْتِدائيٌّ

جاءَ قولُ اللّهِ تباركت آلاؤه: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ اسْتِئْنافًا لبيانِ حالِ أهلِ النّارِ الَّذينَ تَكبَّروا في الأرْضِ، بحيث فَصَلَ اسمُ الإشارةِ المُجَرَّدُ: ﴿هَٰذَاۚ﴾ الكَلامَ الّذي قبلَه عن الكَلامِ الّذي بَعْدَه، بقَصدِ الانْتِقالِ مِنْ غَرَضٍ إلى غَرَضٍ، مِثْلُ جُمْلَةِ: (أمّا بَعْدُ)، وكذلك مثلُ اسْمِ الإشارةِ (ذَلِكَ) في قَوْلِه تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: 30]. وهو كَما يَقولُ الكاتِبُ إذا فَرَغَ من فَصْلٍ من كِتابِه؛ وأرادَ الشُّروعَ في آخَرَ: (هَذا وقَدْ كانَ كَيْتَ وكَيْتَ..). وهَذا الأُسْلوبُ مِنَ الانْتِقالِ هو المُسَمّى في عُرْفِ عُلَماءِ الأَدَبِ بِالاقْتِضابِ[2]، وهو طَريقَةُ العَرَبِ في الانْسِيابِ مِنْ مَقصودٍ إلى مقصودٍ فيما يُرادُ التَّعبيرَ عنه. فالجمْلَةُ استِئْنافيَّةٌ، وهي نظيرُ الجملةِ السّابقة لها، وهي قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌۚ﴾.

بَراعَةُ اسْتِعْمالِ اسْمِ الإشارَةِ في الانْتِقالِ بَيْنَ الأَغْراضِ:

المحافظةُ على كلِّ موضوعٍ مستقلًّا مع الربطِ بينها برباطٍ وثيق

ابْتَدَأَ النَّظْمُ الحكيمُ الآيَةَ الكَريمَةَ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ باسمِ الإشارَةِ ﴿هَٰذَاۚ﴾ للانْتِقالِ من غَرَضٍ إلى غَرَضٍ، إنْهاءً لِلْغَرَضِ السّابقِ، وابتداءً بالغرضِ اللّاحقِ، ويكونُ

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 12/ 175.
(2) ابن الزَّمَلْكانيّ، التِّبْيان، ص: 184، والعَسْكَريّ، الصّناعتين، ص: 39، والقَزْوينيّ، كتاب الإيضاح، ص: 307، والتخليص: 432 ، وابن الأثير، المَثَل السّائر: 3/ 139.

التَّقديرُ: (المُرادُ الأمْرُ هَذا)، أوْ (هَذا كَما ذُكِرَ)[1]، أو (هذا شأنُ المتّقين)، والمقصودُ من الانتقالِ بين الأغراضِ إقامةُ كلِّ فريقٍ بكلامٍ منفصلٍ في موضوعِهِ عنِ الآخَرِ، بحيثُ يَبقى الانْتقالُ حاضرًا بينَ الأغْراضِ لتحقيقِ المقصودِ الكُلّيّ.

بَلاغَةُ التَّعبيرِ باسْمِ الإشارَةِ وحذْفِ الخَبَرِ:

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ جاءَ التَّعبيرُ باسْمِ الإشارَةِ للدّلالَةِ على أنَّ هذا الأمْرَ العَظيمَ جَديرٌ بِأنْ يُجْعَلَ نُصْبَ العَيْنِ؛ وهو أنَّهُ لِكُلٍّ مِنَ الفَريقَيْنِ ما ذُكِرَ؛ وإنْ أنْكَرَهُ الكَفَرَةُ. وحَذْفُ الخَبَرِ بَعْدَ إثْباتِهِ في الأوَّلِ أهْوَلُ؛ ليَذْهَبَ الوَهْمُ فيهِ كُلَّ مَذْهَبٍ[2].

في التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ (المبتدأ) مِنْ غيرِ خبرٍ ضَرْبٌ مِنَ التَّهْويلِ والتَّخْويفِ

دلالَةُ التَّوْجيهاتِ الإعْرابيَّةِ المُتَعَدِّدَةِ لاسْمِ الإشارَةِ:

تَعَدَّدتِ الأوْجُهُ الإعْرابيَّةُ لاسم الإشارةِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ رغْمُ وضوحِ مَوْقِعِها، وما ذاكَ إلّا لِكثافةِ الاحتمالاتِ الَّتي تَزْخَرُ بِها هذِهِ الكلمةُ، فذَهَبَ بَعْضُهُم إلى أنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذوفٍ، وقالَ آخرونَ: المُرادُ: (هَذا لِلْمُؤْمِنينَ) عَلى أنَّهُ مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ مَحْذوفٌ. وجَوَّزَ بَعْضُهُم الأمْرين: أي: احْتِمالَ كَوْنِهِ مُبْتَدَأً مَحْذوفَ الخَبَرِ، واحْتِمالَ كَوْنِهِ خَبَرًا مَحْذوفَ المُبْتَدَأ، وجَوَّزَ بَعْضُهم كَوْنَهُ فاعِلَ فِعْلٍ مَحْذوفٍ، أيْ: مَضى هَذا، أو كَوْنَهُ مَفْعولًا لِفِعْلٍ مَحْذوفٍ، أيْ: خُذْ هَذا[3]. وأشارَ بَعْضُهُم إلى أنَّه توكيدٌ لـ﴿هَٰذَاۚ﴾ الوارِدِ في الجُمْلَةِ السّابِقَةِ[4]. ويتَّضِحُ أنَّ تعَدُّدَ الأوْجُهِ الإعرابيَّةِ دليلٌ على كثافَةِ المَعاني الَّتي يحْمِلُها اسمُ الإشارَةِ في هذا السّياقِ، وهوَ من إعْجازِ القُرآنِ الكريمِ في قابليّةِ النَّظمِ القرآنيّ لتعدُّدِ المعاني بتعدُّدِ أوْجِهِ الإعرابِ للّفظِ الواحدِ.

تَعَدُّدُ الأوْجُهِ الإعرابيَّةِ دليلٌ على كثافَةِ المَعاني الَّتي يحْمِلُها اسمُ الإشارَةِ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 232.
(2) البِقاعِيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 16/ 405.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 205.
(4) الخطيب ومصلوح والعلّوش، التّفصيل: 23/ 297.

نَوْعُ الواوِ وبلاغتُها:

كُلُّ جُملةٍ تَتَناوَلُ فَريقًا بِعينِه؛ أهْـلُ النَّـعيـمِ وأهْلِ الشَّقاءِ

عَطَفَ النَّظْمُ الحكيمُ قَوْلَ اللّهِ: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ بالواوِ العاطِفَةِ على اسمِ الإشارَةِ، فَوَصلَ بينَ الجُملَتينِ: جملةِ اسمِ الإشارةِ ﴿هَٰذَاۚ﴾، باعتبارِهِ مبتدأً محذوفَ الخبرِ، وجملةِ ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ للتَّوَسُّطِ بينَ الكَمالين، كَمالِ الاتصالِ، وكمالِ الانقطاعِ، فقد اتَّفَقَتِ الجُمْلَتانِ لَفْظًا ومَعْنًى، فَكِلْتاهُما جُمْلَةٌ خَبَريَّةٌ، ووُجِدَتِ المُناسَبَةُ المُسَوِّغَةُ للعَطْفِ بيْنَهُما، ولمْ يَمْنَعْ مِنَ العَطْفِ مانِعٌ، فَكُلُّ واحِدَةٍ منَ الجُمْلَتينِ تَتَناوَلُ فَريقًا بِعيْنِه، كَما في قَوْلِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: 13 - 14][1]. فاسمُ الإشارَةِ ﴿هَٰذَاۚ﴾ وخبرُه المَحْذوفُ يُشيرُ - عندَ أغلبِ المُفَسِّرينَ - إلى ما سبقَ منْ نَعيمِ أهْلِ الجَنَّةِ، وقَوْلُه تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ مَخْصوصٌ بأهلِ الجَحيم. فانتَظَمَ الأسْلوبُ على تَناولِ الفَريقينِ مَعًا، لذا ساغَ الوَصْلُ بيْنَهُما على خيرِ الوُجوهِ.

نَوْعُ اللّامِ ومَعْناها:

اخْتِصاصُ أهْلِ الـنّـارِ بِـتَـذَوُّقِ العَذابِ

جاءَتِ اللّامُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿لِلطَّٰغِينَ﴾ للاخْتِصاصِ، فأثْبَتَتْ اخْتِصاصَ شَرِّ المآبِ بالطّاغينَ دونَ غَيْرِهم منْ أهْلِ الطّاعَةِ والتَّواضُعِ والإخْباتِ، فَمَعْنى اللّامِ أنَّه تَخْتَصُّ بِهِمْ جَهَنَّمُ، واخْتِصاصُها بِهِمْ هو تَذَوُّقُ عَذابِها لِأنَّ العَذابَ ذاتيٌّ لِجَهَنَّمَ[2].

تَوْجيهُ تَخْصيصِ لَفْظِ الطّاغينَ بِالذِّكْرِ:

المُـقـابـلـةُ بين الـصِّـفـات المتعارضةِ بيانٌ لعلَلِ المآلِ

خَصَّصَ النَّظْمُ الحكيمُ صفةَ الطُّغيانِ بالذِّكْرِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾؛ فَلَمْ يَذْكُرْ صفةَ الكفرِ أو الفسقِ ونَحْوِهما، وذلكَ لأنَّ الطُّغيانَ هوَ مُجاوَزَةُ الحَدِّ في العِصْيانِ، فَلَمّا ذَكَرَ صِفَةَ التَّقْوى، وهي الخَشْيَةُ والإخْباتُ في قولِه سبحانه: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ

(1) فيّود، علم المعاني، ص: 475.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 285.

﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ ذَكَرَ الصِّفَةَ المُقابِلَةَ لَها وهي الطُّغْيان؛ لِتَتَّضِحَ المُقابَلَةُ بينَ الصِّنْفَين، لِبَيانِ اسْتِحْقاقِ كُلِّ فَريقٍ لِمَآلِهِ الَّذي انْتَهَى إليهِ في الآخِرَةِ، فالتَّقوى هي تخليصُ النَّفسِ من جميعِ مظاهرِ الطُّغيانِ والكِبْرِ المانعِ من قَبولِ الطّاعةِ، والطُّغيان على الضِّدِّ.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِصيغَةِ جَمْعِ (الطّاغينَ):

كُـلُّ مَـنِ اتَّصَفَ بِصِفَةِ الطُّغْيانِ وسَلَكَ مسلَكَهم فَـهـوَ داخِــلٌ في الوَعيدِ

عَبَّرَ النَّظْمُ الحَكيمُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ باسمِ الفاعِلِ المَجْموعِ جَمْعَ مُذَكَّرٍ سالِمًا (الطّاغين)؛ وذَلِكَ لِأَنَّ المُرادَ هَهُنا الإشارَةُ إلى صِفَةِ الطُّغيانِ في حَدِّ ذاتِها في المَقامِ الأوَّل، ثُمَّ التَّعَرُّضُ لِلناحيَةِ الاسميَّةِ في الصّيغَةِ بعْدَ ذَلِكَ، إذِ الأصْلُ في جَمْعِ السَّلامَةِ النَّظَرُ إلى الوَصْفيَّةِ، ثُمَّ الاسْميَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ، أي أنَّ كُلَّ من اتَّصَفَ بِصِفَةِ الطُّغْيانِ فَهوَ داخِلٌ في الوَعيدِ بِشَرِّ المآبِ، وأمّا جَمْعُ التَّكْسيرِ فإنَّ الأساسَ فيه الاسْميَّةُ أوَّلًا، ثُمَّ الوَصْفيَّةُ بَعْدَ ذَلِكَ[1]، فاختيارُ هذا الجمعِ لبيانِ أنَّ الطُّغيانَ صفةٌ اتَّصفَ بها هؤلاءِ المجرمون في حياتِهم، وسلوكٌ اعتادوه، ثمَّ أصبحَ اسْمًا لاصقًا بهم، كصفةِ المغضوبِ عليهم لليهودِ وفيهم ضلالٌ، وصفة الضّالّين للنَّصارى وعليهم غضبٌ.

نوعُ اللّامِ ودلالتُها:

تَأكيدُ استِحْقاقِ الـطّـاغـينَ لِـشَـرِّ مَـرْجِعٍ يَرْجِعونَ إِلَيْهِ

أدْخَلَ النَّظْمُ الحكيمُ حَرْفَ اللّام على كَلِمَةِ (شَرَّ) للتّوكيدِ، إذِ اللّامُ هُنا هيَ لامُ الابْتِداءِ الواقِعَةُ بَعْدَ (إنَّ) المَكْسورَةِ، وهيَ المُزَحْلَقَةُ، وسُمّيَتْ مُزَحْلَقَةً لأنَّها زُحْلِقَتْ عنْ صَدْرِ الجُمْلَةِ كَراهيَةَ ابْتِداءِ الكَلامِ بِمُؤَكِّدَينِ[2]، فَدَخَلَتْ علَى الخَبَرِ، لِمَزيدٍ من التَّأكيدِ، وإثباتِ استِحْقاقِ هؤلاءِ الطّاغينَ لِشَرِّ مَرْجِعٍ يَرْجِعونَ إلَيْهِ في الآخِرَةِ جَزاءَ تَكْذيبِهم بآياتِ اللّهِ وإعراضِهم عنْ هَدْيِ القُرآنِ الحكيمِ.

(1) عمر، دراسات لغوية، ص: 220، وداود، معجم الفروق، ص: 472.
(2) ابن هشام، مُغني اللّبيب: 304.

بَلاغَةُ اخْتِلافِ المُقابَلَةِ في اخْتيارِ مُفْرَدَةِ (شَرَّ):

الإيجازُ في الحذفِ التّقابليِّ في المُفْرَدات

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ استعملَ النَّظْمُ الحكيمُ لفظَ (شَرّ)، وقدْ تَقَدَّمَ في وصْفِ (مَآبِ المُتَّقينَ) بَأَنَّهُ ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾، فَكانَ مُقْتَضَى الظّاهِرِ الإتْيانَ باللَّفْظِ المُقابِلِ وهوَ (سوء)، لَكِن أتَى لَفْظ (شَرَّ)؛ وذلك لأنَّ لفظَ الشَّرِّ يومئُ بضدِّه إلى معنى الخيرِ، كما أنَّ الحُسْنَ في قوله تعالى: ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ يومئُ بضدِّه إلى معنى السّوءِ، وهو ما يُسَمَّى في البلاغَةِ بالحَذْفِ التّقابُليِّ[1]، فاختلافُ اللّفظين دالٌّ على المقابلَينِ المحذوفَين، وهذا شبيهُ الاحتباكِ، فاجتمع في وصفِ عاقبةِ المتّقين الحسنُ والخيرُ، وفي وصفِ عاقبةِ الطّاغين السّوءُ والشّرُّ، وبِذِكْرِ أحدهما في الجملةِ الأولى، وحذفِ المقابلِ له في الأخرى، وحذف الآخر في الجملةِ الأولى وذِكْرِ مقابِلِهِ في الأُخرى، إيجازٌ بحذفٍ تقابُليٍّ في المفردات.

غَرَضُ تَقْديمِ ﴿لِلطَّاغِينَ﴾ عَلَى اسْمِ (إنَّ):

الاهْتِمامُ بالصِّفةِ التي أوردَتْ أصحابَها مآلَ العذابِ

قَدَّمَ النَّظْمُ الحكيمُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ مُتَعَلَّقَ خَبَر (إنَّ) ﴿لِلطَّاغِينَ﴾ على اسْمِها ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ للاهْتِمامِ بالمقدَّم، والتَّشْويقِ إلى المؤَخَّر[2]، إذِ التَّقديم في الأصل للعنايةِ والاهتمام[3]، وهنا جاء بِتَخْصيصِ الجُمْلَةِ لبيانِ صِفَةِ هؤلاءِ الظالمينَ الباغينَ، ثم لِبيانِ مآلِهم، وما سَيصيرونَ إليه، فَلَمْ يأتِ النَّظْمُ على مُقْتَضَى الظّاهِرِ، إذْ لمْ يَقُل: (وإنَّ شَرَّ مآبٍ للطّاغين)، للاهْتِمامِ ببيانِ جَزائِهم في مقابلِ المُتَّقينَ، كَما في قوْلِه تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ للاهتمامِ بِذِكْرِ كُلِّ فَريقٍ في مقابلِ الآخر، ولبيانِ أنَّ هذه الصِّفة التي اتَّصفَ بها كلُّ فريقٍ هي عِلَّة مآلِ كلٍّ منهم.

(1) الزّركشيّ، البرهان: 3/ 129.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/ 9.
(3) السّامرّائيّ، أسرار البيان: 21.

بَلاغَةُ التَّوْكيدِ ودلالتُه:

كـثرةُ المُؤكِّـدات بـرهـانُ الإنـكـارِ ودليلُ الاستكبار

تَعَدَّدَتِ المُؤَكِّداتُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾، فَبَدأتِ الجُمْلَةُ بـ(إنَّ) الَّتي تُفيدُ التَّوكيدَ، فجاءَ النَّظْمُ مؤكِّدًا سوءَ مَصيرِ الطّاغينَ، وسوءَ مَرْجِعِهم في الآخرةِ. كَما تَخيَّرَ البيانُ القُرْآنيُّ الجُمْلَةَ الاسْميَّةَ الَّتي تُفيدُ الثَّباتَ والدَّوامَ والاسْتِقْرارَ. ثُمَّ بَلَغَ التَّأْكيدُ ذِرْوَتَه بدخولِ اللّامِ المُزَحْلَقَةِ عنَ الابتِداءِ، الَّتي تُفيدُ زيادَةَ التَّوكيدِ، فَهي بِمَثابَةِ إعادَةِ الجُملَةِ، فَكانَ بِمَنْزِلَةِ تَكْرارِ اللَّفْظِ ثَلاثَ مَرّاتٍ[1]، بالإضافَةِ للتَّوكيدِ المُسْتَفادِ مِنَ الجُمْلَةِ الاسْميَّةِ، فأكدَّ ثباتَ هذا المصيرِ المُهينِ ودَوامَه بما لا مَزيدَ عليهِ، ودلَّ التَّوكيدُ هنا على شِدَّةِ إنكارِ الطّاغين لمآبِهم، وأنَّهم يرون أنفسَهم أنّهم على خيرٍ.

بَلاغَةُ الكِنايَةِ:

تلميحٌ من غير تصريح، وعمقٌ دَلاليّ بأُسلوبٍ جَماليّ، وسياقٌ مُبْهَم بمعانٍ تُفْهَم

عَبَّرَ النَّظْمُ الحكيمُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ عَنْ دُخولِ الطّاغينَ النّارَ بقوْلِه: ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ كِنايَةً عن مَوْصوفٍ، هوَ النّارُ، بِصِفَةٍ من أسْوأِ أوْصافِها، وهيَ سوءِ المَرْجِعِ والمآلِ، لِدلالَةِ هَذِه الأوْصافِ عَلَيْها دَلالَةً واضِحَةً، تُسْهِمُ في بيانِ المَعْنى في ذِهْنِ المُتَلَقّي، عَنْ طَريقِ التَّلْميحِ بَدَلَ التَّصْريحِ، مَعَ إيجازٍ ومُبالَغَةٍ في بيانِ المَعاني، إذْ لِلْكِناياتِ أثَرٌ في النُّفوسِ ما لا يكونُ للتّصريحِ والإفصاحِ، فَهُنا يَتِمُّ التّعبيرِ بالكنايةِ عن المعاني البَليغةِ الكَثيفَةِ المُرتَبِطَةِ بالنّارِ، معَ الإضافَةِ والزّيادَةِ بِما تُحْدِثُه تلكَ الكِنايةُ مِنْ تَهْويلٍ وتَخْويفٍ مِنْ هذا المَصيرِ المُهينِ. ولَيْسَ هُناكَ منْ شَكٍ في أنَّ الكِنايةَ عنِ النّارِ بَقوْلِه: ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ أبْلَغُ في هذا السّياقِ مِنَ الإفْصاحِ، إذِ التَّعْريضُ هَهُنا أوْقَعُ في النَّفْسِ مِنَ التَّصْريحِ[2].

(1) ابن يعيش، شرح المفصّل: 4/ 526.
(2) الجُرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 53.

بَلاغَةُ التَّفْصيلِ والبَيانِ بَعْدَ الإجْمالِ:

تَفْصيلِ مَرْجِعِ الطّاغينَ تَخْويفٌ وتَزْهيبٌ بأوْضَحِ عِبارَةٍ

لَمّا أجْمَلَ النَّظْمُ الحكيمُ مَصيرَ الطّاغينَ في قَوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ عَقَّبَ عَلَيْهِ بما يوَضِّحُهُ ويُبَيِّنُه بقَوْلِه: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾، فَهوَ كَقَوْلِه: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: 41] فَشَبَّهَتِ الآيةُ ما تَحْتَهم مِنَ النّارِ بالمِهادِ الَّذي يَفْتَرِشُهُ النّائِمُ[1]. ولا يَخْفَى ما لِلْبَيانِ والتَّفْصيلِ بَعْدَ الكنايةِ والإجمالِ مِنْ وقْعٍ في النَّفْسِ؛ لأنَّهُ عِنْدَ الإجْمالِ تَتَطَلَّعُ النَّفْسُ وتَسْتَشْرِفُ إلَى التَّفْصيلِ، وفي تَفْصيلِ مَرْجِعِ الطّاغينَ تَخْويفٌ وتَرْهيبٌ من السَّيْرِ في سبيلِهم الَّتي سَلَكوها، بأوْضَحِ عِبارَةٍ. فَيَجوزُ في قولِه: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ يجوز أن يكون بَدَلًا مِنْ (شَرَّ مَآبٍ) أوْ مَنْصوبَةً بإضْمارِ فِعْلٍ تَقْديرُهُ: (أعْني)، ويَجوز أنْ تَكونَ عَطْفَ بَيانٍ، وأنْ تَكونَ مَنْصوبَةً بِفِعْلٍ يَتَقَدَّمُهُ عَلَى الاشْتِغالِ، أي: (يَصْلَوْنَ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها)[2].

بَلاغَةُ جُمْلَةِ الحالِ:

بيانٌ لِمَبْلَغِ ما يُساقُ إليهِ الطّاغون من العَذابِ

جاءَتْ جُمْلَةُ ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ في مَحَلِّ نَصْبٍ، حالٌ من ﴿جَهَنَّمَ﴾ أي: يَدْخُلونَها، وهي حالٌ مؤكِّدةٌ لمعنى اللّام الّذي هو عاملٌ في (الطّاغين)؛ فإنَّ معنى اللّام أنَّ جهنَّمَ تَختصُّ بهم، وأنّ اختصاصَها بِهم هو أنْ تُذيقَهم عذابَها؛ لأنَّ العذابَ ذاتيٌّ لجهنَّم.

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بِصيغَةِ المُضارِعِ:

تَصْويرُ المَشْهَدِ واسْتِحْضارُ الصّورَةِ أشَدُّ مُبالَغَةً في التَّرْويعِ والتَّفَجُّعِ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ آثَرَ النَّظْمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالفِعْلِ المُضارِعِ الدّالِ على التَّجَدُّدِ والاسْتمرارِ، إذِ الفعلُ المضارعُ يفيدُ معَ الحدوثِ الحاضرِ ظاهرةَ التَّجدُّدِ والتَّتابُعِ[3]، وهنا جاء للدّلالَةِ على أنَّ حُلولَهم في قَعْرِ جَهَنَّمَ المُظْلِمِ وصَلْيِهم بَحَرِّها كائِنانِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 403.
(2) ابن عادل، اللّباب: 16/ 440.
(3) حسن، البلاغة العربية: 1/ 516.

على وجْهِ الدَّوامِ والاسْتِمرارِ، كَما أنَّ التَّعبيرَ بِصيغَةِ المُضارَعَةِ تَصْويرٌ للمَشْهَدِ واستِحْضارٌ للصّورَةِ في الذِّهْنِ، وهذا التَّصْويرُ وهذا الاسْتِحْضارُ أشَدُّ مُبالَغَةً في التَّرويعِ والتَّفَجُّعِ على مَصيرِهم المُهينِ البائِسِ.

نَوْعُ الفاءِ ودلالتُها:

تَرَتُّبُ البؤسِ في المِهادِ المُهينِ على دُخولِ جَهَنَّمَ

جاءَتِ الفاءُ في قَوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ لِتَرْتيبِ الإخْبارِ وتَسَبُّبِهِ عَلى ما قَبْلَهُ، وهوَ نَظيرُ عَطْفِ الجُمَلِ بِـ (ثُمَّ)، وهي كالفاءِ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ [الأنفال: 17] بَعْدَ قَوْلِهِ ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنفال: 15]، وهَذا اسْتِعْمالٌ بَديعٌ كَثيرٌ في القُرْآنِ، وهو يَنْدَرِجُ في اسْتِعْمالاتِ الفاءِ العاطِفَةِ[1]، وتَحتَمِلُ الفاءُ أنْ تكونَ الفصيحةَ، أيْ إنْ أردتَ أنْ تَعلمَ حقيقةَ جهنَّمَ فهي بِئْسَ المِهاد[2].

بَلاغَةُ جُمْلَةِ الذَّمِّ:

التَّنْبيهُ على سوءِ المَصيرِ والاخْتِصارُ والإيجاز

استعملَ النَّظْمُ الكريمُ الفعلَ (بِئْسَ) في قوله تعالى: ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الدّالَّ على الذَّمِّ، وهوَ فِعْلٌ جامِدٌ غيرُ مُشْتَقٍّ، لا يدْخُلُه التَّصْريفِ، وأصْلُه من البُؤْسِ، وقدْ دَلَّ التَّعبيرُ بأسلوبِ الذَّمِّ على سوءِ المآلِ، وقُبْحِ المَرْجِعِ، وشِدَّةِ المَصيرِ، فَنَبَّهَ على سوءِ المَصيرِ وحَذَّرَ منْ مَغَبَّةِ الطُّغيانِ والتَّكْذيبِ، ثُمَّ حذف النَّظْمُ الحكيمُ المَخْصوصَ بالذَّمِ في قولِه سبحانه: ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ اخْتِصارًا وإيجازًا؛ والمَخْصوصُ بالذَّمِّ المَحْذوفُ عائِدٌ على جَهَنَّمَ، وأصلُ الكلامِ: فَبِئْسَ المِهادُ جَهَنَّمُ، والمعنى: "بئس الفِراشُ الّذي افترَشوه لأنفسِهم جهنَّمُ"[3]. وهذا الحذفُ اختصارٌ لدلالة صَدْرِ الآيةِ عليه وهو قوله تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 285.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 374.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 126.

بَلاغَةُ الاسْتِعارَةِ في اسْتِعْمالِ مُفْرَدَةِ ﴿ٱلْمِهَادُ﴾:

مِهادُ الطّاغينَ جَمْرٌ ونارٌ، ومِهادُ المُتَّقينَ فُرُشٌ وثيرَةٌ

اسْتَعْمَلَ النَّظْمُ الحكيمُ مُفْرَدَةَ ﴿ٱلْمِهَادُ﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ تَعْبيرًا عنْ فِراشِ أهْلِ النّارِ، وقَدِ اسْتُعيرَ ممّا يَفْتَرِشُهُ النّائِمُ، والمَهْدُ كالمِهادِ، وقَدْ يُخَصُّ بِمَقَرِّ الطِّفْلِ[1]، والمُرادُ أنَّهُ لا فِراشَ لَهم غَيْرُ جَمْرِها؛ فَكانَ التَّقْديرُ: (فَيَكونُ مِهادًا لَهُمْ)؛ لِتُحيطَ بِهِمْ؛ فَيَعُمَّهم صَلْيُها. وفي استِعْمالِ هذِهِ المُفْرَدَةِ تَهَكُّمٌ وتَوبيخٌ لَهُم على طُغْيانِهم وتَكْذيبِهم؛ فَإنَّ فائِدَةَ الفِراشِ تَنْعيمُ الجَسَدِ؛ وهَذِهِ تُذيبُ الجِلْدَ واللَّحْمَ؛ ثُمَّ يَعودُ في الحالِ؛ كُلَّما ذابَ عادَ؛ عُقوبَةً لَهُمْ؛ ليُرِيَهُمُ اللّهُ ما كانوا يُكَذِّبونَ بِهِ مِنَ الإعادَةِ في كُلِّ وقْتٍ دائِمًا أبَدًا؛ كَما كانوا يَعْتَقِدونَ ذَلِكَ دائِمًا أبَدًا؛ جَزاءً وِفاقًا؛ عَكْسَ ما لِأَهْلِ الجَنَّةِ مِنَ التَّنْعيمِ؛ والتَّلْذيذِ؛ بِإعادَةِ كُلِّ ما قَطَعوا مِن فاكِهَتِها؛ وأكْلوا مِن طَيْرِها؛ لِأنَّهم يَعْتَقِدونَ الإعادَةَ؛ فَنالوا هَذِهِ السَّعادَةَ[2].

دلالَةُ تَعْريفِ لَفْظِ ﴿ٱلْمِهَادُ﴾:

التَّوْبيخُ والتَّهَكُّمُ جَزاءُ الطُّغْيانِ والعِصْيانِ

جاءتْ كَلِمَةُ ﴿ٱلْمِهَادُ﴾ مُعَرَّفَةً بِلامِ العَهْدِ، والمَعْهودُ مَعْروفٌ، لِكَوْنِهِ مذْكورًا، وهوَ جَهَنَّمُ، ومِنْ أغْراضِ ذِكْرِهِ وتَعْريفِهِ في أنْ يكونَ اسمًا لِجَهَنَّمَ هو التَّهَكُّمُ بالعصاةِ؛ لأنَّهم يُلْقَوْنَ فيها، فَتُصادِفُ جُنوبَهُم وظُهورَهُم، وعِنْدَئِذٍ لنْ يَسْتَطيعُ المُلْقَى في جَهَنَّمَ أنْ يَتَصَرَّفَ لَحْظَةً وضْعِهِ في النّارِ، كَما لا يَسْتَطيعُ الطِّفْلُ الوليدُ أن يَتَصَرَّفَ في مِهادِهِ[3].

بَلاغَةُ الفَصْلِ ودلالته:

ذَوْقٌ الحميمِ والغَسّاقِ مِنْ صَلْيِ جَهنّمَ وبِئْسَ المِهاد

ابْتَدَأ النَّظْمُ الحكيمُ الآيَةَ الكَريمَةَ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ باسمِ الإشارَةِ ﴿هَٰذَا﴾، فَفَصَلَ بيْنَ الجُمْلَتينِ، لِكَمالِ الاتصالِ بينَهُما، إذِ الجُمْلَتانِ خَبَريّتانِ لفْظًا

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 205.
(2) البِقاعيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 16/ 405.
(3) الشّعراويّ، الخواطر: 12/ 7274.

ومَعْنًى، وبيْنَهُما من الاتِّصالِ والاتِّحادِ والتَّلاحُمِ المَعْنَويِّ ما يَمْنَعُ العَطْفَ بالواوِ؛ لأنَّ العَطْفَ وصْلٌ خارجيٌّ، فالجُمْلَةُ الثّانيَةُ بِمَنْزِلَةِ التَّوكيدِ المَعْنَويِّ، لأنَّ الثانيَةَ مُقَرِّرَةٌ لِمَعْنَى الأولى، وجملةُ ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ مُرتَّبةٌ على الجملةِ الّتي قبلَها فهي بمنزلةِ جزاءِ شرطٍ محذوفٍ[1]، إذْ إنَّ ذوقَهم الحميمَ والغسّاق هو مِنْ صَلْيِ جَهنَّم، ومن بئس المهادِ.

وَظيفَةُ اسْمِ الإشارَةِ للقَريبِ:

تَصْويرُ المَشْهَدِ وتَهْويلُهِ وتَحْذيرٌ مِنْ مُلاقاةِ مَصيرِ الطّاغينَ

استَعْمَلَ النَّظْمُ الحكيمُ اسم الإشارةِ ﴿هَٰذَا﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ الَّذي يُفيدُ الإشارَةَ للقَريبِ لِتَقْريبِ الإنْذارِ، والمُشارُ إلَيْهِ ما تَضَمَّنَهُ قَوْلُهُ ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ مِنَ الصَّلْيِ ومِن مَعْنى العَذابِ، أوِ الإشارَةُ إلى (شَرّ) الّذي وَرَدَ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾[2]. وعلى التَّقْديرَينِ كليهما يَنْبَني تَحْذيرٌ مُخيفٌ منْ مُلاقاةِ مَصيرِ الطّاغينَ جزاءَ تَكْذيبِهم وعِصْيانِهم. ولِاسمِ الإشارةِ دلالةٌ عجيبةٌ في استحضارِ صورةِ العذابِ، وما يكون في جهنَّم من الويلات، كأنَّ المخاطَبينَ من الطّاغين يُلاقونَها.

نَوْعُ الفاءِ ومَعْناها:

تَرَتُّبُ تَذَوُّقِ الحَميمِ والغَسّاقِ على التَّصْليَةِ في مِهادِ الجحيمِ

جاءَتِ الفاءُ في قَوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ اعتراضيَّةً، وهذا من الاعتراضِ المقترنِ بالفاءِ دونَ الواوِ، والفاءُ فيه كالفاءِ في قوله: ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾؛ فهي لِتَرْتيبِ الإخْبارِ وتَسَبُّبِهِ عَلى ما قَبْلَهُ، نَظيرُ عَطْفِ الجُمَلِ بِـ (ثُمَّ) وهي أيضًا كالفاءِ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ [الأنفال: 17] بَعْدَ قَوْلِهِ ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنفال: 15]، وهَذا اسْتِعْمالٌ بَديعٌ كَثيرٌ في القُرْآنِ، وهو يَنْدَرِجُ في اسْتِعْمالاتِ الفاءِ العاطِفَةِ[3]، فأفادَتِ الفاءُ تَرَتُّبَ تَذَوُّقِ الحَميمِ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 205.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 286.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 285.

والغَسّاقِ على التّصْليَةِ في مِهادِ الجحيم، فالجُمْلَةُ مُرَتَّبَةٌ عَلى الجُمْلَةِ قَبْلَها، فَهي بِمَنزِلَةِ جَزاءِ شَرْطٍ مَحْذوفٍ، والفاءُ تَفْسيريَّةٌ تَعْقيبيَّةٌ، وتُشْعِرُ بِأنَّ لَهم إذاقَةً بَعْدَ إذاقَةٍ[1].

نوعُ اللّامِ ودلالتُها:

من أغراضِ فِعلِ الأمْرِ التّهكُّمُ بالطُّغاةِ

اللّامُ في قَوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ للأمْرِ، والأمْرُ هَهُنا للتَّهَكُّم والتَّوبيخ، والمُراد: إذا كنْتُم قدْ أعرضْتُم في الدُّنيا عنِ الهَدْيِ الإلَهيّ، وجاوزْتُم الحدَّ في العِصْيانِ، فَذوقوا جَزاءَ عِصْيانِكُم من هذا الصَّديدِ والقَيحِ الّذي تَناهَى حرُّهُ، زيادَةً على نَتْنِه، فلن تَمْلِكوا الامتناعَ عنِ الأمْرِ كَما كنتُم تَمْتَنعونَ في الدنيا، فَمَهْما بَلَغَ بِكُمُ الاشْمِئْزارُ من هذا المَطْعومِ والمَشْروبِ فَلَنْ تستطيعوا الامتناعَ عنْ تَذَوُّقِه، لِهوانِكُم على اللّهِ تعالى.

بَلاغَةُ الاسْتِعارَةِ التَّهَكُّميَّةِ:

استعمالُ التَّذَوُّقِ لما تَنْفِرُ منه الطِّباعُ السَّليمَةُ تَهَكُّمٌ واستِهْزاءٌ

اسْتَعْمَلَ النَّظْمُ الحكيمُ فعلَ الذّوقِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ والأصْلُ في التَّذَوُّقِ أنْ يَكونَ لِما يُشْتَهى مِنَ المَطْعومِ أو المَشْروبِ، ثُمَّ استعيرَ لِغَيره، وأنْ يَكونَ للقَليلِ دونَ الكثيرِ، ولكنَّ البيانَ القرآنيَّ أتى به في هذا السّياقِ لِما تَنْفِرُ منه الطِّباعُ السَّليمَةُ تَهَكُّمًا واستِهْزاءً بِهِم، بسبب طُغيانِهم وتَجَبُّرِهم. كما أنَّ الحميمَ والغَسّاقَ إنَّما هُما غالبُ طَعامِ أهلِ النّارِ، فأتى بالفعلِ ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ لأنّ ذَلكَ – وإنْ كانَ في التَّعارُفِ للقَليلِ – فَهوَ مُسْتَصْلَحٌ للكَثيرِ، فَخَصَّه بالذِّكْرِ ليَعُمَّ الأمْرَين[2]. وفي ذلكَ بيانٌ لِمَبْلَغِ هَوانِهم وقِلَّةِ شأْنِهم.

نُكْتَةُ الجُمْلَةِ المُعْتَرِضَةِ:

تَقْديمُ ذِكْرِ الجُمْلَةِ المُعْتَرِضَةِ مُبالَغَةٌ في التَّهَكُّمِ

ذَهَبَ كثيرٌ من المُعربينَ إلى أنَّ جمْلَةَ ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بينَ المبتدأ ﴿هَذَا﴾ وخبرِه ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾[3]، وأشاروا إلَى أنَّ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 205.
(2) الرّاغب، المفردات: (ذوق).
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 205.

الأصلَ: (هذا حميمٌ وغَسّاقٌ فليَذوقوه)، وقُدِّمَتِ الجُملَةُ وجُعِلَتْ مُعْتَرِضَةً بينَ رُكْنَيِ الجُملَةَ - على إعراب ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأً، و﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ خبرًا - حِرْصًا على المُبالَغَةِ في التَّهَكُّم، فكأنَّ السّامِعَ لَمّا يَطْرُقُ سَمْعَه ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ يَتَوَقَّعُ شيئًا مَطْعومًا أو مشْروبًا حقًّا، ثم تأتي كَلِمَتا ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ فتؤكِّدانِ مَهانَةَ هؤلاءِ الطّاغينَ المُكذِّبينَ.

بَراعَةُ الجَمْعِ بَيْنَ لَفْظَيْ ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾:

الجَمْعُ بينَ ما لا تستطيعه الأبدانُ وما تعافه الأنفسُ

في قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ جَمَعَ النَّظْمُ بينَ كَلِمَتَيْ ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾، والحَميمُ هوَ الماءُ الشَّديدُ الحَرارَةِ، والغَسّاقُ سائِلٌ يَسيلُ في جَهَنَّمَ، وهوَ سائِلٌ مُنْتِنٌ، ففي الحديثِ: أن النَّبي ﷺ قالَ: «لَو أنَّ دَلْوًا من غَسّاقٍ يُهَراقُ في الدُّنْيا، لأنْتَنَ أهْلَها»[1]، وقيلَ: هوَ دُموعُهُمُ الَّتي تَخْرُجُ مِنْ عُيونِهم لِكَثْرَةِ بُكائِها يُسْقَوْنَها مِنَ الحَميمِ[2]، فَجَمَعَتِ الآيةُ بين نوعينِ من السّوائِلِ، وهو ما يكونُ حارًّا، وما يَقْطُرُ من أجسادِهم نتيجة التّعذيبِ، فأحدُ السّائلين حارٌّ غير مقدورٍ عليه، والآخر منتنٌ تَعافُهُ النَّفْسُ، فالجمعُ هو بين سائِلَينِ مآلُهما عذابٌ شديدٌ على أهلِ النّارِ.

فائدةُ تَنْكيرِ لَفْظَيْ ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾:

تَهْويلِ ما يشربُه الطُّغاةُ وتحقيرُ حالِهم

ذَكَرَ علماءُ البلاغةِ أنَّ مِنْ أغراضِ استعمالِ النَّكرةِ التَّهويلَ والتَّخويفَ، نحوَ قولِه تعالى عن يومِ الحسابِ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: 48][3]، وهنا في قولِه تعالى: ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ جاءَتْ هاتانِ الكَلِمَتانِ نَكِرَتَينِ لإفادَةِ التَّهْويلِ والتَّخْويفِ والتَّرْهيبِ، حَتَّى تَذْهَبَ النَّفْسُ في كُنْهِهِما كُلَّ مَذْهَبٍ، وتَتَحَيَّرَ في

(1) الحديث أخرجه التّرمذيّ في سننه، كتاب صفة جهنّم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النّار حديث رقم: (2787)، والبيهقي في البعث، برقم: (604)، وصحّحه الحاكم في مستدركه، برقم: (8932)، وأقرّه الذّهبيّ.

(2) السّمين، عُمْدَةُ الحُفّاظ: (غسق).

(3) السّامرّائيّ، معاني النّحو: 1/ 40.

الإحاطَةِ بأوْصافِهما، فتَشْمَلُ كُلَّ وصْفٍ مُنَفِّرٍ مُقَزِّزٍ، حَتى يَرْعَوِيَ الطّاغونَ المُكَذِّبونَ عنْ تَكْذيبِ الحَقِّ المُسْتَقيمِ، ولِكَيْ يَحْذَرَ المُؤمنُ منِ السَّيْرِ على سبيلِهم المُضَلِّلَةِ.

تَوْجيهُ القِراءاتِ القرآنيّة:

المُفْرَدَةُ في قراءَةِ التَّخْفيفِ اسمٌ، وفي قِـــراءَةِ التَّشْديدِ وصْفٌ

جاءَ في كَلِمَةِ ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ قِراءاتانِ، فَقَرَأَ حَمْزَةُ والكِسائيُّ وخَلَفٌ وحَفْصٌ بِتَشْديدِ السّينِ في المَوْضِعَيْنِ من سورةِ (ص) والنَّبأ. وقَرَأَ الباقونَ بِتَخْفيفِها فيها ﴿وَغَسَاقٌ﴾[1]، فَهوَ في قِراءَةِ الجَماعَةِ بالتَّخْفيفِ اسْمٌ؛ كَـ(العَذابُ)؛ و(النَّكالُ)؛ وقيلَ هُما لُغَتانِ، وقيلَ: غَسّاقٌ بالتَّشْديدِ مُبالَغَةٌ في غَساقٍ بِمَعْنى سائِلٍ، فَهو عَلى هَذا وصْفٌ لِمَوْصوفٍ مَحْذوفٍ ولَيْسَ اسْمًا لِأنَّ الأسْماءَ الَّتي عَلى زِنَةِ فَعّالٍ قَليلَةٌ في كَلامِهِمْ[2].

دلالَةُ صيغَةِ (غَسّاقٌ):

صيغَةُ التَّشْديدِ تُشيرُ إلى شِدَّةِ عَـذابِـه وسـوءِ وقْعِه على أهْلِ النّارِ

جاءَتْ كَلِمَةُ (غَسّاقٌ) في إحدى القِراءَتينِ المُتَواتِرَتينِ – كما مرّ – على وزْنِ (فَعّال): ﴿وَغَسَّاقٌ﴾، وفي القِراءةِ الأُخْرَى بغيرِ تَشْديدٍ ﴿وَغَسَاقٌ﴾، فَذَهَبَ البِقاعيُّ إلى أنَّ قِراءَةَ التَّشْديدِ تُشيرُ إلى شِدَّةِ أمْرِهِ في جَميعِ ما اسْتُعْمِلَ فيهِ مِنَ السَّيَلانِ والبَرْدِ والسَّوادِ[3]، وعَلَّلَ ذَلِكَ الآلوسيُّ بأنَّ الوَصْفيَّةَ في المُشَدَّدِ أظْهَرُ لِأنَّ فَعّالًا بالتَّشْديدِ قَليلٌ في الأسْماءِ[4].

في حين أشارَ الطّاهِرُ ابن عاشورٍ إلى أنَّ هَذِهِ الزِّنَةَ من هَذِهِ المادَّةِ رُبَّما لمْ تَكُنْ مَعْروفَةً عِنْدَ العَرَبِ، وبِذَلِكَ يومِئُ كَلامُ الرّاغِبِ في مُفرداتِه. وهَذا سَبَبُ اخْتِلافِ المُفَسِّرينَ في المُرادِ مِنهُ. والأظْهَرُ أنَّهُ صيغَ لَهُ هَذا الوَزْنُ ليَكونَ اسْمًا لِشَيْءٍ يُشْبِهُ ما يُغْسَقُ بِهِ الجُرْحُ،

(1) ابن الجزريّ، النَّشر: 2/ 361.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 285.
(3) البِقاعيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 16/ 403.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 205.

ولِذَلِكَ سُمّيَ بِالمُهْلِ والصَّديدِ في آياتٍ أُخْرى[1]. ولِهَذِه الصّيغَةِ وقْعٌ شَديدٌ في الأُذُنِ يوحي بِثِقَلِ العَذابِ وشِدَّةِ وطْأتِه.

نُكْتَةُ حَذْفِ المَوْصوفِ:

حُذِفَ المَوْصوفُ لِتَذْهَبَ النَّفْسُ في تصويرِه كُلَّ مَذْهَبٍ

حَذَفَ النَّظْمُ الحكيمُ مَوْصوف كَلِمَةِ (آخَرُ) في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾، فـ(آخرُ) صِفَةٌ لِمَوْصوفٍ مَحْذوفٍ دَلَّتْ عَلَيْه الإشارَةُ بِقَولِه ﴿هَٰذَا﴾ وضَميرُ ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ ووَصْفُ (آخَرُ) يَدُلُّ عَلى مُغايِرٍ، وقَولُهُ ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ يَدُلُّ أيضًا عَلى أنَّهُ مُغايِرٌ لَهُ بِالذّاتِ وموافِقٌ في النَّوْعِ، فَحَصَلَ مِن ذَلِكَ أنَّهُ عَذابٌ آخَرُ أوْ مَذوقٌ آخَرُ[2]. وقدْ حَذَفَ النَّظْمُ المَوْصوفَ لِتَذْهَبَ النَّفْسُ في تصويرِه كُلَّ مَذْهَبٍ، فتَتَخَيَّلَ هَوْلَهُ وشِدَّتَه على أبْشَعِ الوُجوهِ، أي: عذابٌ آخرُ غيرُ المذكورِ.

تَوْجيهُ القِراءاتِ القُرْآنيَّةِ:

قِراءَةُ الإفْرادِ لِجِنْسِ العذابِ، وقِراءَةُ الجَمْعِ لِتَعَدُّدِ أنْواعِه وضُروبِه

وَرَدَ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ قراءاتانِ، فَقَرَأ البَصْريّانِ بِضَمِّ الهَمْزَةِ مِنْ غَيْرِ مَدٍّ عَلَى الجَمْعِ ﴿وَأُخَرُ﴾، وقَرَأ الباقونَ بِفَتْحِ الهَمْزَةِ وألِفٍ بَعْدَها عَلَى التَّوْحيدِ[3]، أيْ عَذابٌ آخَرُ، أمّا عَلى القِراءَةِ الأولى فَقَوْلُهُ: ﴿وَءَاخَرُ﴾ أيْ: ومَذوقاتٌ أُخَرُ مِن شَكْلِ هَذا المَذوقِ، أيْ مِن مِثْلِهِ في الشِّدَّةِ والفَظاعَةِ، وأمّا عَلى القِراءَةِ الثّانيَةِ فالتَّقْديرُ و(عَذابٌ أوْ مَذوقٌ آخَرُ)، وأزْواجٌ صِفَةٌ (لِآخَرَ) لِأنَّهُ يَجوزُ أنْ يَكونَ ضُروبًا، أوْ صِفَةً لِلثَّلاثَةِ، وهي ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ﴾[4]. فَقِراءَةُ الإفْرادِ لِجِنْسِ العذابِ، وقِراءَةُ الجَمْعِ لِتَعَدُّدِ أنْواعِه وضُروبِه.

نَوْعُ ﴿مِن﴾ ودَلالَتُها:

جاءَتْ ﴿مِن﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 285.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 287.
(3) ابن الجزريّ، النّشر: 2/ 361.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 404.

للابْتِداءِ، فهي دالَّةٌ على ابتداءِ تَشْبيهِ هذا العذابِ أو المَذوقِ التّالي بالعَذابِ الأوَّلِ المَذْكورِ في قولِه تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾، فَحاصِلُ مَعْنى الآيَةِ: أنَّ لِأَهْلِ النّارِ حَميمًا وغَسّاقًا وأنْواعًا مِنَ العَذابِ مِن مِثْلِ الحَميمِ والغَسّاقِ[1]، فَعذابُ الكُفّارِ قد يَشْتَرِكُ في الشَّكْلِ ويُغايِرُه في الألَمِ نِكايَةً بِهِم، وجَزاءً لَهُم على استِكْبارِهم وطُغْيانِهم وصَدِّهم السبيلَ عنْ قبولِ دَعوةِ الحَقِّ.

عـذابُ الـكُـفّـارِ قـد يَـشْـتَرِكُ في الشَّكْلِ ويُغايِرُه في الألَـمِ نِكايَةً بِهِم

نُكْتَةُ الجَمْعِ بَينَ لَفظِ ﴿وَءَاخَرُ﴾ ولَفْظِ ﴿شَكْلِهِۦٓ﴾:

جَمَعَ النَّظْمُ الحكيمُ بينَ لَفظِ ﴿وَءَاخَرُ﴾ ولَفْظِ ﴿شَكْلِهِۦٓ﴾، في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ﴾، والمُرادُ عَذابٌ مُخْتَلِفٌ مِنْ وجْهٍ، ومُشابِهٌ مِنْ وجْهٍ، فقدْ أجْمَلَ المَعْنَى في لفْظ (آخرُ)، ثُمَّ أتَى بتفْسيرِه جُمْلَةً في قَولِه ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾، دونَ بيانٍ لِوَجْهِ التَّشابُهِ والمُماثَلة، وفَوَّضَ إلَى عَقْلِ السّامِعِ اسْتِنْباطَ وجْهِ المُشاكَلَةِ على الوَجْهِ اللّائِقِ بالسّياقِ، فَنَبَّهَ اللَّفظُ إلى مَبْلَغِ هَذا العَذابِ المُهينِ وحَرَّضَ على الحَذَرِ ممّا يُؤَدّي إلى الضَّلالِ.

تَـفْـويـضُ عَـقْـلِ الـسّـامِـعِ إلى اسْـتِـنْـباطِ وجْـهِ المُشاكَلَةِ

غَرَضُ تَقْديمِ ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ عَلَى ﴿أَزْوَٰجٌ﴾:

كثيرًا ما يكون التقديمُ في البلاغة للاهْتمامِ به، وللتَّشْويقِ إلى ما تَمَّ تأخيرُه[2]، إذِ التَّقديم في الأصل للعنايةِ والاهتمام[3]. وهنا قَدَّمَ النَّظْمُ الجليلُ شِبْهَ الجُملَةِ ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ على كَلِمَةِ ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ وذلك على اختلافِ تقديرِ مَواقِعِهما الإعرابيَّة، للاهْتِمامِ بِبَيانِ مدى الارْتِباطِ بينَ هذا العَذابِ وبينَ سابِقِه، أيْ: وعَذابٌ آخَرُ غَيْرُ ذَلِكَ الَّذي ذاقوهُ مِنَ الحَميمِ والغَسّاقِ، فَهوَ مِثْلُ ذَلِكَ المُشارِ إلَيْه أوْ مِثْلُ ذَلِكَ الذَّوْقِ في التَّعْذيبِ والألَم.

الاهْتِمامُ بِبَيانِ صِـلَـةِ هـذا العَذابِ بِسابِقِه

(1) الشَّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 506.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/ 9.
(3) السَّامرّائيّ، أسرار البيان: 21.

عِلَّةُ إفرادِ الضَّميرِ:

أُفْرِدَ ضَميرُ ﴿شَكْلِهِۦٓ﴾ مَعَ أنَّه يعود إلى المثنَّى ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ نَظَرًا إلى إفْرادِ اسْمِ الإشارَةِ ﴿هَٰذَا﴾، أوْ إلى إفْرادِ (مَذوقٍ) المَأْخوذِ مِن ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾[1].

بَراعَةُ اسْتِعْمالِ ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ في مَعْنَى (أصْنافٌ):

اجْتِماعُ ألوانِ العَذابِ وأصْنافِهِ مِنْ سوءِ مآلِ أهلِ الجَحيمِ

في قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ استَعْمَلَ النَّظْمُ الحكيمُ كَلِمَةَ ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ للتَّعبيرِ عَمّا يُلاقيه الطّاغونَ مِنْ أصنافِ العَذابِ في جهَنَّم، وذَلِكَ لأنَّ الأصلَ في الزَّوْجِ الصِّنْفُ والنَّوْعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وكُلُّ شَيْئَيْنِ مُقْتَرِنَيْنِ، شَكْلَيْنِ كانا أو نَقيضَيْنِ، فَهُما زَوْجانِ؛ وكلُّ واحِدٍ مِنْهُما زَوْجٌ[2]؛ والمُرادُ بالأزْواجِ: أصْنافٌ وألوانٌ وأنْواعٌ مِنَ العَذابِ، ووَصَفَهُ بالأزواجِ، لأنه عَنَى بِهِ الأنواعَ مِنَ العَذابِ والأصنافَ مِنْهُ[3]، والمَعْنى: وعَذابٌ آخَرُ هو أزْواجُ أصْنافٍ كَثيرَةٍ، فاجْتِماعُ ألوانِ العَذابِ وأصْنافِهِ دليلٌ على سوءِ مآلِ أهْلِ الجَحيمِ وشَرِّ مآبِهِم، فاللونُ الواحد من العذابِ، والصنفُ الواحدُ عبارةٌ عن أزواجٍ.

نُكْتَةُ جَمْعِ لَفْظِ ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ وتَنْكيرِها:

جاءَتِ الصّيغَةُ بالجَمْعِ والتَّنْكيرِ للتَّكْثيرِ والتَّهْويلِ

جاءَتْ كَلِمَةُ ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ في قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ جَمْعًا للدّلالَةِ على اجْتِماعِ أصْنافٍ مِنَ العَذابِ على المُكَذِّبينَ الطّاغينَ[4]، وجاءَتْ نَكِرَةً للتَّكْثيرِ والتَّهْويلِ والتَّخْويفِ والإنْذارِ والتَّرْهيبِ، ليَذْهَبَ العقلُ في تصَوُّرِ أصنافِ العذابِ كُلَّ مَذْهَبٍ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 287.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (زوج).
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 206.
(4) الثَّعْلَبيّ، الكَشْفُ والبيان: 22/ 565.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»